مقدمـــة

شهدت المجتمعات على مدار العصور - ولا زالت - حالات من الحراك، تتجلى بوضوح في الفعل السياسي والرغبة في التغيير، وتتبلور في إحساسها بحقها في أن تنعم بحياة، عمادها العدل والحرية واحترام حقوقها الإنسانية وكرامتها البشرية. وتنتفض بين الحين والآخر طلائع تمثل ضمير شعوبها، باحثة عن دورها الذي وجدت من أجله، وراسمة حلمها التغييري، عازمة على أن تطيح بالديكتاتوريات التي تسببت في قعود مجتمعاتها عن مواكبة التطور الإنساني العالمي.

وتأتي إسهامات أكاديمية التغيير العلمية في إطار تقديم الخبرة الإنسانية التراكمية للشعوب، تنميةً للعقل التغييري، وتعزيزًا للفكر الاستراتيجي، ونشرًا لثقافة التغيير على أسس علمية، مستفيدة في ذلك من التجارب الإنسانية على مر العصور، لاستكمال وصقل وتطوير طرق الكفاح التي بدأها أحرار الإنسانية الصامدون.

كتاب حرب اللاعنف

ويأتي كتاب «حرب اللاعنف .. الخيار الثالث» – في سلسلة «حرب اللاعنف» - كمادة تأسيسية ضرورية للمهتمين بقضية التغيير، حيث تشير إلى طريق ثالث، وخيار محتمل – تجدر دراسته بعمق - للتحرر من الديكتاتوريات، تجنبًا للوقوع في أسر الثنائيات، إما العنف أو الاستسلام.

قسم الدراسات والأبحاث

أكاديمية التغيير

obeikandl.com

«الخطأ والجهل على مستوى التكتيكات قد يكون محتملًا، أما على مستوى الاستراتيجيات فيكون مؤلمًا، وعلى مستوى فلسفة الفكرة فهو مهلك»

أكاديمية التغيير

obeikandl.com

التمهيـــــد

obeikandl.com

يعد موضوع حرب اللاعنف حلقة من حلقات برنامج علمي، يهتم بتأسيس المجتمع الحر الذي يحمل رسالة حضارية إنسانية[١].

وقبل أن نبدأ في سبر أغوار حرب اللاعنف يجب أن نعلم أولًا أن محور حديثنا سيكون عن المستقبل. فالمجتمع الذي تعيش فيه الشعوب بشكل إنساني متحضر، تعرف فيه القوة التنفيذية مكانها كخادمة للشعب وراعية لمصالحه، ولا مكان فيه للديكتاتوريات القابعة على صدور الشعوب، ذلك المجتمع الذي يحمل رسالة إنسانية حضارية غير موجود على أرض الحاضر المعاش في كثير من أنحاء المعمورة، ولكنه المجتمع المستقبلي المنشود.

أمم سبقت إلى المستقبل

والطريق إلى المستقبل سلكته عدة أمم، حين قررت التغلب على صعوبات حاضرها. فكثير من الأمم عانت في فترات زمنية محددة من فساد سياسي وكساد اقتصادي وضمور ثقافي وتخلف اجتماعي، وألح عليها التساؤل.. ماذا نفعل؟؟!! فقرر فريق منها الاستسلام والانبطاح، وفريق آخر قرر الكفاح التراكمي معتمدًا منهج الواقعية السياسية[٢] ومغازلة الواقع،[٣] لتكون المحصلة في بقائه وديمومته والحفاظ على مكتسباته، آملًا أن تؤدي هذه المكتسبات المتراكمة إلى إحداث التغيير في يوم ما، وفريق ثالث قرر أن يسلك سبيل العنف كخيار نهائي أخير، وفريق رابع زار المستقبل واكتشف شكلًا جديدًا من أشكال الحروب يمكن أن يحسم الصراع[٤].

---

(١) انظر المفاهيم في نهاية التمهيد صـ ١٨.

(٢) للاطلاع على مفهوم الواقعية السياسية انظر المفاهيم في نهاية التمهيد صـ ٢٠.

(٣) للاطلاع على مفهوم الواقع ودرجات فهمه انظر المفاهيم في نهاية التمهيد صـ ٢٢.

(٤) من الضروري لعشاق بناء مستقبل أفضل أن يزوروا هذا المستقبل ليتعرفوا عليه جيدًا، ثم يعودون إلى الواقع ليبدعوا أفضل الأساليب الموصلة إلى ذلك المستقبل، فحرب اللاعنف ليست نهاية المطاف، ولكنها إحدى إبداعات أولئك الذين أبوا استنساخ الوسائل السابقة وتقليدها، وهي دليل على أن العقل البشري قادر على إحداث طفرات في الفعل تغير نمط الممارسة السياسية وأساليبها.

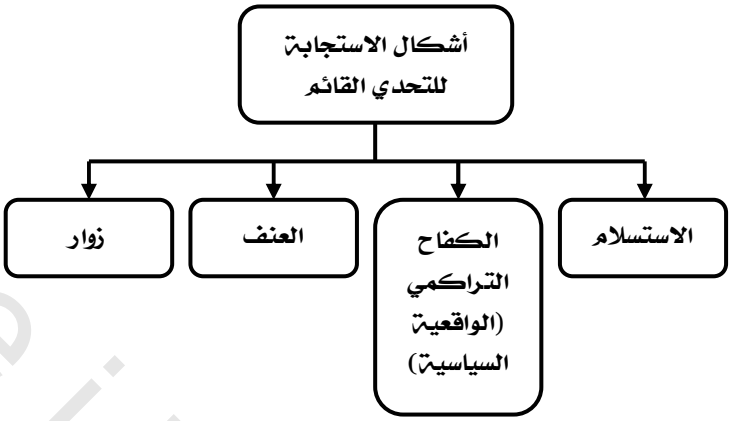

شكل ١: أشكال الاستجابة للتحديات وفيها زوار المستقبل يعودون بحلول لحاضرهم ولا يستسلمون لضغوط واقعهم

هذه الحرب جديدة قديمة.. جديدة لأنها تتجدد بتجدد الأيام، وبتجدد الشعوب، وبتجدد الثقافات؛ بل وبتجدد أشكال الصراع. فكلما تلون الصراع واختلفت مفرداته كلما استحدثت هذه الحرب من استراتيجياتها وتكتيكاتها ما تكافيء به الواقع. وهي كذلك حرب قديمة، لأن جذورها التاريخية ممتدة في تربة الإنسانية على مدار قرون، يعود ما وصلنا منها إلى القرن الخامس الميلادي. هذه الحرب يطلق عليها «**حرب اللاعنف**».

obeikandl.com

البناء التغييري

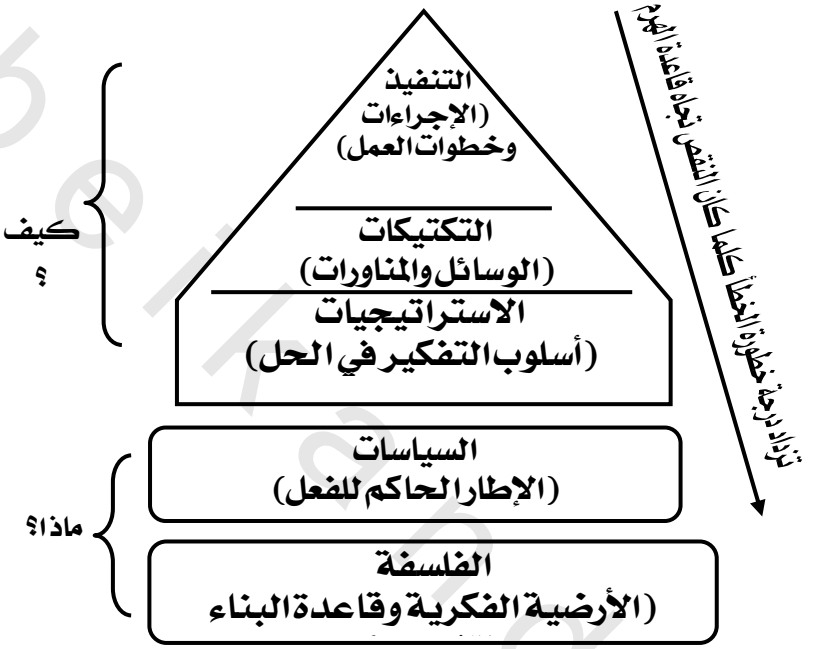

شكل ٢: البناء التغييري ومستوياته الخمسة

وقبل الحديث عن حرب اللاعنف يجب علينا ابتداءً أن نفرق بين مستويات خمسة تشكل في مجموعها البناء التغييري الهرمي لتلك الحرب:

الأول: **مستوى الفلسفة**: ويمثل قاعدة البناء وأرضية الحركة التغييرية. وكلما ازداد عمق الفكرة، واستطاعت الإجابة على الأسئلة الحيوية والملحة المطروحة على الساحة، كلما ترسخت جذورها واشتدت قوة البناء.

وهذا المستوى يصوغ ثقافة قيادات وأعضاء الحركة ويؤثر في كافة المستويات اللاحقة.

openkanar.com

الثاني: **مستوى السياسات**:[1] وتعرف بأنها إطار التصرف، أو موجهات وقيود الفعل. وهي التي تحدد مدى مرونة أو جمود، تحرر أو انغلاق، سعة أو ضيق أفق الحركة خلال المراحل المتتالية التي تمر بها عملية البناء. ولابد أن تكون السياسات متسقة مع ونابعة من الفلسفة (**المستوى الأول**).

وهذان المستويان معًا يجيبان على سؤال «**ماذا؟**»: ما هي الفكرة؟ ما جوهرها؟ ما أهدافها؟ ما مرتكزاتها؟ ما أخلاقياتها؟ ما ضوابطها؟ ما متغيراتها وثوابتها؟..الخ. وتمثل هذه الإجابات منطلقات العمل للحركة التغييرية. فالسياسات الضابطة لفعل حركات مقاومة الاحتلال السلمية أو العسكرية تختلف عن السياسات التي تعتمدها الأحزاب والحركات المعارضة في الدول الديكتاتورية، وكلاهما يختلف عن سياسات الأحزاب والحركات في المنظومة الغربية.

الثالث: **مستوى الاستراتيجيات**: ونقصد به أسلوب التفكير في الحلول المناسبة. والتي تتحدد على ضوئها: بنى الحركة، وهياكلها، وقياداتها، وأعضائها، ومهاراتهم، وخططها طويلة الأمد. وغالبًا ما يتحدد هذا المستوى في إطار السياسات.

وتتحدد في ضوء الاستراتيجيات أداة التغيير الرئيسة، وأداة الحسم التي تراهن عليها الحركة. وتتنوع هذه الأدوات ما بين تكوين - أو الاستعانة واستدعاء – جيش خارجي أو حرب العصابات أو الانقلاب العسكري أو الثورة الشعبية أو النضال الدستوري وغيرها من أدوات حسم الصراعات.

الرابع: **مستوى التكتيكات**: تشير التكتيكات في العلوم العسكرية إلى فن

(١) لأن السياسات هي موجهات وقيود الفعل فقد قال إبراهام لينكولن عام ١٨٦١: «**إن سياستي ألا تكون لي سياسات**». ولم يكن يقصد بذلك عدم أهمية السياسات؛ وإنما كان يشير إلى مدى مرونة السياسات التي اختارها.

استخدام الجنود والأسلحة في المعركة. وفي حالتنا هذه فإنها تعني فن استخدام الموارد المتاحة البشرية والمادية من أجل تحقيق الأهداف الاستراتيجية. وهي تشمل الوسائل والخطط التنفيذية والتشغيلية القصيرة، وتتحدد في إطار الاستراتيجيات.

فالتكتيكات التي تنطلق من استراتيجيات عسكرية تختلف عن تلك التي تنطلق من استراتيجيات سلمية.

الخامس: **مستوى التنفيذ**: ونقصد به الإجراءات وخطوات العمل. وتتحدد في إطار التكتيكات.

وتجيب هذه المستويات الثلاثة – الاستراتيجيات والتكتيكات والتنفيذ – على سؤال «كيف؟»: كيف تخاض الحرب؟ كيف تتشكل بنيتها وقيادتها؟ كيف تفقد الخصم توازنه؟ كيف تتغلب على القمع؟ كيف تفوز بالجمهور؟ كيف تختار الأنشطة؟ كيف يتم الإعداد لها؟ ...الخ.

وإذا كانت الفلسفة والسياسات تمثل قاعدة البناء التغييري، فإن الاستراتيجيات والتكتيكات والتنفيذ تمثل رأسه المدبب الموجه إلى الخصم. فـ«ماذا؟» وحدها لا تكفي، وإنما هي كقبضة السيف.. كلما اشتدت كلما استطعنا أن نحكم قبضتنا على السيف؛ بينما «كيف؟» هي حد السيف.. كلما صقلت وتنوعت وأحسن استخدامها كلما كان السيف أمضى وأشد تأثيرًا.

وتتدرج خطورة الخطأ أو الجهل بشكل تصاعدي من المستوى الخامس إلى الأول، بمعنى أن الخطأ أو الجهل على مستوى التنفيذ أو التكتيكات قد يكون محتملًا، بينما الخطأ أو الجهل على مستوى الاستراتيجيات يكون مؤلمًا وأكثر خطورة، وعلى مستوى السياسات يؤدي إلى الفشل، أما غياب غطاء فلسفي فكري – يمثل الأرضية التي تبلور الفكرة – فيؤدي إلى أزمة مهلكة. فبدون فهم فلسفة الفكرة جيدًا

سيصعب تحديد السياسات والاستراتيجيات، وستدور الحركة في فراغ استراتيجي، ولن تكون التكتيكات والوسائل بدورها إلا أنشطة متفرقة لا تجد إطارًا يجمعها أو يفسرها. ولن تزيد الحركات إلا بعدًا عن تحقيق الأهداف.

موضوع الكتاب

- وموضوع هذا الكتاب هو الإجابة على سؤال «**ماذا؟**»، حيث سنتعرض لشرح المستويين الأولين: الفلسفة والسياسات. ومن ثم فإننا سنقسم الكتاب إلى ثلاثة أبواب:

الباب الأول: عبر بوابة الزمان، وسنتناول فيه نشأة وجذور حرب اللاعنف.

الباب الثاني: حول مفهوم حرب اللاعنف، وسنتناول فيه المباحث التالية:

الفصل الأول: طبيعة الصراع.

الفصل الثاني: أطراف الصراع.

الفصل الثالث: طبيعة القوة السياسية.

الفصل الرابع: طبيعة أسلحة حرب اللاعنف.

الباب الثالث: حول أساسيات حرب اللاعنف، وسنتناول فيه

بعض الأسس والركائز المهمة التي تضبط حركة المقاومة خلال صراعها ضد خصومها، ونعالج بعض المفاهيم الخاطئة الشائعة.

ويلي هذه الأبواب الثلاثة عدد من الملاحق:

الملحق الأول: التجارب التغييرية.

الملحق الثاني: النماذج والأشكال التوضيحية.

الملحق الثالث: الكتب والمراجع المهمة.

obeikandl.com

لمن هذا الكتاب

– تتوجه أكاديمية التغيير بهذا الكتاب إلى كل المخلصين والغيورين على أوطانهم، إلى الذين يبحثون عن مخرج من الأنفاق المظلمة التي حفرتها الأنظمة الديكتاتورية والمستبدة في كل مكان حول العالم بممارساتها وطغيانها.

كما تتوجه به إلى كل الحركات التغييرية والمقاومة حول العالم، لتسد به بعض الاحتياجات الضرورية في عالم المقاومة والتغيير.

وتتوجه به كذلك إلى الباحثين المعنيين بهذا المجال، والذين يعانون من فراغ المكتبة العربية من مثل هذا النوع من الكتابات.

وحرصًا منا على دعم وتقوية الحركات المقاومة والنشطاء فإننا لا نكتفي بأن نتقدم إليكم بهذا الكتاب؛ ولكننا نوفر معه دورة تدريبية كاملة على موقع الأكاديمية www.aoc.fm، لشرح أجزاء الكتاب المختلفة، وفهم فكرة حرب اللاعنف.

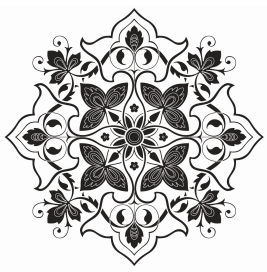

obeikandi.com

مفاهيم

١- المجتمع حامل الرسالة: قد يعرف البعض المجتمع حامل الرسالة أو المجتمع الرسالي على أنه المجتمع الأيديولوجي أو صاحب الفكر السياسي المحدد، وعليه فإنهم يوجهون النقد للدعوة إلى تأسيس مثل هذا المجتمع، ورغم أن هذا التعريف قد يكون على درجة عالية من الصواب إلا أنه لا ينبغي النظر إلى الرسالة أو الأيديولوجيا على أنها انعكاس سلبي لمصالح خاصة أو طموحات شخصية؛ بل إنها في الحقيقة تمتلك قدرة عالية على تأسيس وقيادة الفعل السياسي لتشكل الحياة المادية، ومن ثم لبناء الحضارة.

فالأيديولوجيا كما عرفها أندرو هيوود هي «مجموعة من الأفكار المترابطة بدرجة أو بأخرى، والتي تمثل أساسًا لعمل سياسي منظم، سواءً كان الهدف منه حفظ أو تطوير أو هدم نظام توزيع القوة القائم. ومن ثم فإن كل الأيديولوجيات:

أ- تعرض شرحًا وتفسيرًا للنظام القائم، عادةً في شكل رؤية عالمية وحضارية.

ب- تقدم نموذجًا للمستقبل المنشود ورؤية للمجتمع الصالح.

ج- تشرح ما يمكن وما ينبغي عمله ليتم هذا التغيير السياسي. بمعنى كيف نتحول من الوضع (أ) إلى الوضع (ب).

وعليه فإن الأيديولوجيا بمثابة نظام فعل موجه للأفكار، فهي ليست سيئة أو جيدة، صحيحة أو خاطئة، واسعة الأفق أو ضيقة، متحررة أو منغلقة، جامدة أو مرنة، فقد تكون خليطًا من كل ذلك.

أما تأثير الرسالة على الحياة السياسية فنلحظه في عدة أمورنذكر بعضها:

أ- توفر منظورًا نرى ونفهم العالم من خلاله. فتجعلنا نراه كما نحلم ونعمل للوصول إلي نموذج ما.

ب- تحدد الأهداف التي تقود وتوجه النشاط السياسي.

ج-كل السياسيين يسعون نحو امتلاك القوة، ولكن الرسالة هي التي تحدد ماذا يفعلون بها عندما يمتلكونها.

د- تشكل طبيعة النظام السياسي.

ه- تشكل «**إسمنت اجتماعي**»، فتجمع المجتمع على مجموعة من المعتقدات والأحلام والقيم.

و- تشكل مجموعات أو طبقات اجتماعية جديدة لم تكن موجودة من قبل.

ز- تمثل نوعًا من الضبط الاجتماعي، لأنها - أي الرسالة - تخلق نوعًا من الطاعة بين أعضائها.

وهكذا فإن تأسيس المجتمع الرسالي بالإضافة إلى كونه عاملًا أساسيًا وحاسمًا في عمليات التحول الاجتماعي فإنه أيضًا حقيقةً واقعةً نراها في كل حضارةٍ شيدت منذ بدء الخليقة وحتى يومنا هذا.

٢- الفارق بين الواقعية السياسية والواقع السياسي: تستخدم «الواقعية» كمفهوم سياسي للتعبير عن التعامل مع الواقع والانطلاق منه في معالجة القضايا السياسية واليومية. فعندما نطلب من إنسان أن يكون واقعيًا؛ فإننا نقصد أن يعيش الواقع ويبتعد عن التحليق بعيدًا في عالم الخيال والمثالية. ثم أصبح المفهوم يعد استسلامًا للواقع، وفي ظل واقع الأحزاب والحركات المترهل التي لا تقوى على مجابهة التحديات بات يرادف الانهزامية. وأصبح الفعل السياسي لهذا الفريق يتسم بالواقعية، وينطلق من رؤية واحدة تتقاطع مع السياسية في مفهومها السلبي وهو

فن الممكن.

أما الواقع السياسي فيعني تشخيصًا علميًا للواقع يتم من خلاله دراسة عوامل القوة والضعف على الصعيدين الذاتي والخارجي، وتحديد التحديات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وحصر القدرات والكفاءات التي نمتلكها. وبناءً على تحديد علمي واضح بعيدًا عن الضبابية يمكن رسم معطيات الاستجابة.

والفارق بين فريق الواقعية السياسية وفريق الواقع السياسي أن الأول يتمثل نشاطه السياسي في ردود أفعال على الواقع الذي يفرضه عليه خصومه، بينما الفريق الثاني يخلق الوقائع على الأرض ثم يحصد نتائجها السياسية. فالفريق الأول يتعاطى مع الواقع كما هو، ويدور في فلكه محاولًا التعامل معه ضمن فن الممكن؛ بينما يحاول الفريق الثاني استنهاض الواقع القائم وتطوير عناصر القوة الذاتية والموضوعية الكامنة فيه، في محاولة جادة لخلق واقع جديد يستطيع من خلاله تحقيق الأهداف المرجوة.

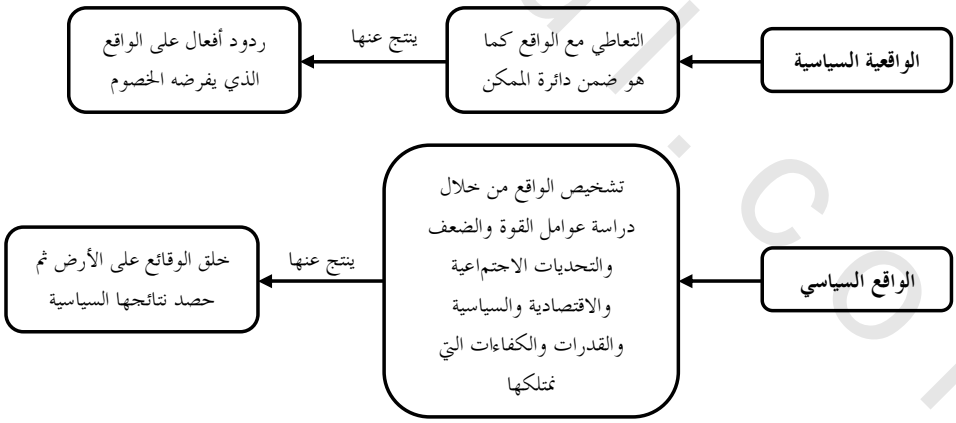

شكل ٣: الواقع السياسي والواقعية السياسية

٣. **درجات فهم الواقع**: أشار أفلاطون إلى درجات فهمنا للواقع من خلال

المثال التالي: لنفترض أن شجرة تقع على ضفة نهر، وأنت تقف بجانبها تنظر إلى الماء؛ في هذه الحالة سترى الشجرة عبارة عن شبح منطبع في ماء النهر يتماوج بتماوجه، فهذه أدنى درجات معرفتنا بالواقع، ولنسمِّها: «**المعرفة الشبح**».

فإذا ابتعدت عن الشجرة قليلًا والتفت إلى الجهة الأخرى، سترى ظلها مرسومًا على الأرض، وهذه درجة من المعرفة بالشجرة أفضل من الأولى، ولنطلق عليها: «**المعرفة الظل**».

أما إذا واجهت الشجرة ونظرت إلى جذعها وأغصانها، فستراها في هذه الحالة كما تمثل أمام عينيك، لنقل صورة على عدسة العين،

وهذه معرفة أرقى من الأوليين، لأن ما ينطبع في عينيك ليس شبح الشجرة ولا ظلها بل صورتها المحسوسة، ولنسم هذه: «**المعرفة المحسوسة**».

ولكن الصورة البصرية لا تقدم لك معرفة إلا بهذه الشجرة المشار إليها، التي قد تكون مُورقة وقد لا تكون، مثمرة أو غير مثمرة، نخلة أو سدرة... فهي ليست «الشجرة» بالمعنى العام الذي ينطبق على جميع الأشجار، ليست هي المثال الأكمل لفكرة الشجرة، ليست هي «حقيقة الشجرة». حقيقة الشجرة أو نموذجها الأكمل لا نحصل عليه بالحواس، بل بالعقل، فمن يشاهد أنواعًا مختلفة من الشجر، ستكون معرفته بالشجرة أفضل، أما إذا كان عالمًا نباتيًا فمعرفته ستكون أكمل، فالحقيقة هي النموذج والمثال. ولنسم هذه الدرجة من الإدراك العقلي: «**المعرفة الحقيقية**».

إذن هناك أربع درجات من «الواقع»: الواقع الشبح، والواقع الظل، والواقع المحسوس، والواقع المثال. والسؤال الآن هو: إلى أي نوع من هذه الأنواع الأربعة تنتمي معرفة الأحزاب والحركات بـ «الواقع السياسي»؟ سيكون الجواب - بناء

على ما سبق – أن معرفتها بـ «الواقع السياسي» ستكون تابعة لموقعها منه: هل تنظر إليه في الماء، أم تنظر إلى ظله، أم إلى صورته، أم تفكر فيه بناء على ما هو عليه في حقيقته متجاوزة أشباحه وظلاله وصوره الحسية؟!

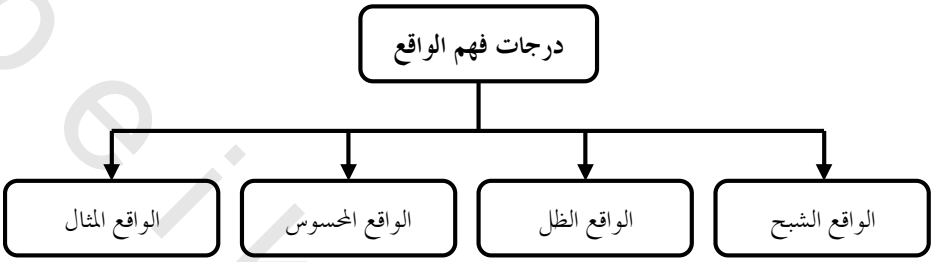

شكل ٤: درجات فهم الواقع الأربعة

obeikandl.com